اللوحة الثانية هي والكمال إنّها الآن قد جاوزت منتصف العشرة الثانية من سنّي عمرها الدنيوي الميمون، جاوزته بقليل، ربّما بعام ... ربّما بعامين أو ثلاثة أعوام فقد شبّت ونمت، ازدهرت نضرةً، أينعت فتوّةً، تكاملت صباً وحسناً حتّى لم يعد في طوق التكامل مزيد. وأولئك الذين شهدوها تترعرع كزهرة هيفاء[851] الفرع، بهيّة الهيئة، زكيّة العبير، لابدّ قد تردّد في خواطرهم تساؤل حائر: ترى أقرّ قرار هذه الحوراء الإنسية على انتهاج جادّة التبتّل، فعدلت إلى العذرية عن الزواج؟ ولا غرابة في تساؤلهم ذاك، فهي قدسية المنبت، قدسية التنشئة، قدسية الميول. وطبيعة الأرض العربية أيضاً، تبكّر بالبنت إلى استواء الأُنوثة، كأنّما شعاع شمسها الحارّ ينضجها على نار! ثم تقاليد البيئة تدفع بها إلى بيت الزوجية، وهي على مُختتم العشرة الأولى من سنيّها، أو على مشارف العشرة الثانية إن لم يكن قبلها أو بعدها بشهور، أحياناً تقصر فإذا هي أيام، وأحياناً تطول حتّى تحول[852]! والأفكار والمشاعر الجاهلية ظلّت لها رواسب دفينة في العقول والنفوس، تحمل